

سلسلة دعوت ري

اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي﴾ [طه: 25-30].

هذه الدعوات جاءت في سورة طه على لسان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لما أمره

الله تعالى أن يذهب إلى فرعون فقال له ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه: 24] فسأل سيدنا

موسى عليه الصلاة والسلام ربّه هذه الدعوات ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾.

إنّ الذي يريد أن يعمل في الدعوة إلى الله عز وجل لا بدّ أن يكون ذا صدر منشرح، ولا بدّ

أن يكون ذا حجة ومنطق سليم يقدمه للناس، ولا بدّ أن يكون له أعوان ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ

أَهْلِي﴾ أما إذا أردت أن تذهب وتدعوا الناس وفي صدرك كرب، وفي صدرك ضيق، وفي قلبك غل

وحقد وشحناء على العباد، سيؤثر هذا سلباً على الدعوة إلى الله؛ ذلك بأنّ بين الداعي والمدعو صلة

روحية، وما يجيش في قلب الداعي هو الذي سيخرج على لسانه شاء أم أبى، وإذا أسر العبد سريرة

ألْبسه الله رداءها إن خيراً فخير وإن شراً فشر، نحن كلنا مأمورون بالدعوة إلى الله لذلك نحن

مأمورون أن نجعل صدورنا مملوءة بالشرح وبالبسط وبالنور الإلهي.

خمسة أسباب بها تنال شرح الصدر، أحياناً لأنّ هموم الحياة، آلام الحياة، منغصات الحياة،

الالتقاء مع الناس أصحاب القلوب القاسية تؤثر بالإنسان، فكيف واحدنا يحافظ على شرح صدره؟

هو يذهب مع الناس يبيع ويشترى يأكل ويشرب، لكنه يحافظ على سلامة قلبه وسلامة صدره،

أسباب شرح الصدر خمسة:

أولها: دوام ذكر الله تعالى, إذا أكثر ذكر الله تعالى شرح الله صدرك ونور الله قلبك, عن أبي هريرة, عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» [أبو داود]. ينزل الله في قلوبهم السكينة وفي صدورهم الشرح.

دوام الذكر يساعدك على شرح الصدر, عن ابن عمر, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ، كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ إِذَا أَصَابَهُ الْمَاءُ» قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا جَلَاؤُهَا؟ قَالَ: «كَثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ» [شعب الإيمان]. من كثرة القيل والقال وخذ وهات, وهذا أزعجني وهذا أساء إليّ, وهذا تكلم في حقي, ونظرة لا ترضي الله هنا... تصدأ هذه القلوب.

كنت مدعواً مرة إلى فرح وفي أثناء الحفل انقطع التيار الكهربائي -بين قوسين دعيت لأجمع نوادر الأفراح وأن أقدمها لكل عروس لكي يعلم ما الذي يمكن أن يحصل معه, واحدة من هذه الأمور أن ينقطع التيار الكهربائي- فقام أهل العروس ليصلحوا الأمر, وعلى يميني يجلس أحد الإخوة لا أعرفه سلمت عليه وتعرفت إليه, سألته عن عمله فأخبرني بأنه تاجر في سوق الكهرباء, وكان لي آنذاك عيادة في ساحة المرجة, فقلت له: إذا أنت جاري, فقال لي: أأست شيخاً, قلت: نعم, لكني طبيب أسنان أيضاً, فقال لي: والله أنا أحتاجك في أمر أريد منك مساعدتي, قلت: نعم نلتقي في العيادة. انتهى الفرح, وبعد يومين اتصل وجاء إليّ في العيادة, وهو شاب له من العمر ثمانية وعشرون سنة قوي الجسد وصاحب جاه وابن عائلة عريقة وذو مال, قال لي: أنا رجل كل شيء في الحياة مؤمن لي, لكنني لست مرتاحاً وأشعر بضيق في صدري, فقلت له: هل أنت متزوج؟ قال: لا, قلت: هل أنت بحاجة للزواج وأوضاعك غير مناسبة؟ قال: لا, قلت: هل هناك فتاة ترغب بزواجها ووالدتك غير موافقة؟ قال: لا, هل تريد السفر ووالدك لا يرضى؟ هل تريد أن تغير سيارتك ولا يوجد لديك مال؟ قال: لا, كل شيء في هذه الدنيا متوفر لدي, لكنني غير مرتاح, قلت له: ما الذي تفعله في هذه الدنيا؟ ما هو برنامجك اليومي؟ قال: استيقظ صباحاً وأتناول الفطور مع أهلي, ثم أذهب إلى العمل في سوق الكهرباء إلى الساعة السادسة أو السابعة مساءً, وفي بعض الأحيان أذهب لتناول الغداء في البيت وأعود إلى المحل, وفي بعض الأحيان لا أذهب, وفي يوم الخميس أخرج مع أصدقائي نتسلى ونلعب ورق الشدة, لا يوجد معصية ولكن نتسلى مع بعضنا البعض, قلت له: سأخذك إلى جلسة أخرجك بها من هذه الدنيا, قال: ماذا يعني

هذا الكلام؟ قلت له: لا شأن لك بهذا الكلام الآن، ألسنت متضايقاً؟ سأساعدك إن شاء الله تعالى، فأخذته إلى جلسة كنا نجلس فيها، فيها مجلس علم ومجلس ذكر، لا علاقة لها لا بالبيت ولا بالعمل ولا بالأخذ والعطاء ولا بالموعد ولا بالفواتير، لا علاقة لها إلا بذكر الله تعالى وبالعلم، فجلسنا في هذه الجلسة قرابة الساعتين، ثم لما انتهت الجلسة خرجنا نتمشى، فقلت له: ما رأيك؟ قال: والله شعرت شيئاً انمسخ عن صدري.

«مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

نحن الآن من رحمة الله بنا لا نرى الملائكة؛ لأننا لو رأيناها لما وسعتهم عقولنا، ألا تعجب بأنك حينما تأتي إلى المسجد وأنت متضايق يذهب هذا الضيق في المسجد مع أنَّ المشكلة مازالت موجودة خارج المسجد؟! والله لو أردنا أن ندفع مالاً ثمن هذه الجلسات العلاجية الروحية لما كنا زاهدين على هذه الجلسات. نحن لا نعلم شيئاً ينزل السكينة على قلوبنا إلا ذكر الله عز وجل ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] كل مهما استطعت، واذهب للتنزه مهما استطعت، وضحك مهما شئت، واشتري من الثياب ما يحلو لك، واركب من السيارات ما تريد، الذي خلق هذا القلب كتب عليه ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

خمسة أمور بها ينشرح الصدر:
أولها: ذكر الله تعالى.

ثانيها: الإحسان إلى الخلق. مهما استطعت أن تحسن إلى الخلق افعل، فإنَّ للعطاء لذة تفوق لذة الأخذ. والله إنَّ السعادة التي يشعر بها من جعله الله سبباً في قضاء حاجات العباد أكبر بكثير من السعادة التي يشعر بها الإنسان الذي قضيت حاجته. إذا جعلك الله سبباً في تيسير عسير أمر عبد، أو إذا أكرمك الله بإخراج مظلوم من السجن، والله تكاد تطير من على وجه الأرض سروراً أنَّ الله جعلك سبباً في إفراح الغير، إذا جعلك الله سبباً في زواج شاب، إذا جعلك الله سبباً في هداية إنسان، إذا جعلك الله سبباً في شفاء مريض، هذا فضل إلهي ما بعده فضل.

أحد الإخوة الذين يحضرون معنا قال لي مرة: أرجوك أنا أتمنى أن أكون سبباً في جبر كسير-يكلمني وهو كرجل أصابه العطش والظمأ ويريد كأساً من الماء- فإذا كنت تعرف أحد الناس مكسوراً وتعرف بأني أستطيع مساعدته

فدلني عليه, قال لي: أشعر بسعادة ما بعدها سعادة إذا كنت سبباً في جبر كسير.

من أسباب شرح الصدر الإحسان إلى الخلق وتقديم النفع لهم من مال وجاه وخدمة, فإنَّ الكريم أشرح الناس صدرأ وأطيبهم نفساً وأنعمهم قلباً, والبخيل أضيق الناس صدرأ وأنكدهم عيشاً.
الثالث: الإكثار من الطاعات, فمهما استطعت أن تفعل من الطاعات والإقبال على الله افعل.

إنَّ للطاعة نوراً في الوجه وشرحاً في الصدر وقوة في البدن وسعة في الرزق وألفة في قلوب العباد, وإنَّ للمعصية سواداً في الوجه وضيقاً في الصدر ووهناً في البدن وقلة في الرزق وبغضاً في قلوب العباد؛ لذلك الطاعات تزيد شرح الصدر ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.

الرابع: الدعاء, ومنها هذه الآية ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ تجده صار يفكر بالآخرة كثيراً, ويعمل للآخرة كثيراً, ويحسب حساب الآخرة كثيراً, صار أي عمل يعرض عليه يدقق فيه, هل هو مقبول في الآخرة أم لا؟ قال الله عن الأنبياء: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: 46] لا تغيب ذكر الدار عن مخيلتهم أبداً, أي هو موجود في الدنيا نعم لكن يأخذ منها بمقدار حاجته؛ لأنه يريد أن يمضي باتجاه الإقبال على الله عز وجل, والاستعداد للموت قبل نزوله.

أكثر واحد عجبت من استعداده للموت! أحد الإخوة أخرج لي من محفظته ورقة النعوة الخاصة به قال لي: كل أموري المالية وما أشبه ذلك جاهزة.

وهناك من يأخذ من واحد ليعطي الآخر فإذا مات...

أحد الشباب معنا توفي والده. رأيته بعد أسابيع قلت له: رحم الله والدك فقال لي: والله لا أدري ما الذي أقول, هل أقول اللهم لا ترحمه؟! قلت له: لماذا؟ قال لي: منذ توفي والدي وفي كل يوم يطرق بابي من يطلب ديناً كان على والدي.

قال لي: ولا يوجد شيء بين أيدينا، فكيف نحقق ونحرر ما الذي للناس على والدي من

ديون؟

الخامس: ترك فضول النظر والكلام والسماع والمخالطة والأكل والنوم، يعني خذ من الدنيا

لكن باعتدال واجعل عقلك يمضي باتجاه الآخرة ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي *

وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي ﴿

نسأل الله أن يشرح لنا صدورنا وأن ييسر لنا أمورنا.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.
والحمد لله رب العالمين.